مجلة إشكالات في اللغة والأدب | مجلد: 09 عدد: 3 السنة: 2020
ص: 421 - 436 | E ISSN: 2600-6634 / ISSN:2335-1586

التّحليل العرفانيّ للخطاب الإشهاريّ ذي الأبعاد السّياسيّة–دراسة عرفانيّة في وصلة زين: "فرحة العيد والغول"

The Cognitive Analysis of the Advertising Discourse with Political Dimensions-ACognitive Study in Zain'sLink: "The Joy of the Feast and the Ghoul"

مروى زريبي[1]*، عبد السّلام شقروش[2]

Marwa zribi[1], Abdeslame Chegrouche[2]

كليّة الآداب والعلوم الإنسانيّة والاجتماعيّة، جامعة باجي مختار–عنّابة–(الجزائر)

University of Annaba- Algeria

marwazribi1992@gmail.com

تاريخ الإرسال:2019/12/07	تاريخ القبول: 2020/04/07	تاريخ النشر: 2020/09/15

ملخص البحث

تهدف هذه الدّراسة إلى بيان دور الاستعارة التّصوّريّة في تبليغ مقاصد الخطابات الإشهاريّة ذات الأبعاد السّياسيّة؛ وذلك من خلال تسليط الضّوء على الاستعارة كآليّة عرفانيّة وجزء لا يتجزّأ من النّسق التّصوّريّ النّاتج عن تفاعل بين مجال الانطلاق والمجال الهدف الذي يقوم على أساس إسقاط تصوّريّ إدراكيّ، من خلال تحليل وصلة إشهاريّة بعنوان "فرحة العيد والغول" تحليلا عرفانيًّا.

وتفضي هذه الدّراسة إلى أنّ الاستعارة آليّة عرفانيّة عقليّة تسمح بتمثّل العالم ومختلف أحداثه؛ وذلك بابتداع تعبيرات استعاريّة مستقاة من تجارب وتمثّلات قبليّة، ومنتقاة من نسق تصوّريّ يحقّق عمليّة تبليغيّة للمحتوى المقصود، كما أنّها مركز إدراك المعنى وتمثّل الوجود وبناء الأنساق الرمزيّة المختلفة؛ لكونها مركز التّفكير وأداته التي تسمح بتبليغ المقاصد وتحقيق الوظائف البلاغيّة والإقناعيّة...لذا كان لزاما على محلّل الخطاب أن يتسلّح بالتّفكير الاستعاريّ الذي يمكّنه من فكّ شفراته والكشف عن دلالاته ومعانيه.

الكلمات المفتاح : استعارة؛ تفكير استعاريّ؛ خطاب إشهاريّ؛ نسق تصوّريّ؛ تجربة.

Abstract :

This study aims to explain the role of conceptual metaphor in communicating the intentions of publicity speeches with political dimensions and that is by highlighting the metaphor as a knowledgeable mechanism and part of the conceptual layout resulting from an interaction between the starting field and the target field, through an analysis and

* مروى زريبي. marwazribi1992@gmail.com

advertisement link titled « Farhat al-Aid walghoul »,an empirical analysis. This study leads to the fact that metaphor is a mental, knowledgeable mechanism that allows the world to be represented and its various events ; by creating metaphors from tribal experiences and representations selected from a conceptual format that achieves an informative process for the intended content, as it is a center for perceiving meaning and representing existence and building different symbolic formats, as it is the center of thinking and its tool that allows communicating purposes and achieving rhetorical and persuasive functions therefore, the speech analyst had to arm himself with metaphorical thinking that would enable him to decipher his codes and reveal its implications and meanings .

Keywords: Metaphor, Metaphorical Thinking, Advertising Discourse, Conceptual Format, Experience.

المقدّمة:

لقد شهدت اللّغة في مختلف تمظهراتها اهتمامًا منقطع النّظير؛ نظرًا إلى ما تحويه من آليّات إبداعيّة تسمح باكتمال العمليّة التّواصليّة، ولعلّ من أبرز القضايا التي تطرحها السّاحة اللّسانيّة حديثًا ما يُعرف بالاستعارة التّصوّريّة التي تُعنى بها اللّسانيّات العرفانيّة؛ بل وتعُدُّها من أهمّ اهتماماتها وموضوعاتها، تلك الآليّة التي لا يُنظر إليها في الدّراسات المعاصرة على أنّها مجرّد ظاهرة فنيّة لغويّة، بل هي جزء لا يتجزّأ من التّفكير الإنسانيّ متجذّرة في نسق تصوّريّ، وناتجة عن تفاعل بين تجربة سابقة وتصوّر ذهنيّ أفضى إلى تبلور تلك الصّورة المعبّرة عن واقع متداول دونما إرباك للمتلقّي؛ حيث إنّها تتحوّل بصورة آليّة إلى مكوّن طبيعيّ في التّفكير البشريّ وعنصر مألوف لدى مرسِل ومرسَل إليه، يتسنّى لمنتج الخطاب استثمارها بعد مقْوَلتِها في شكل بنية تصوّريّة، كما يتسنّى لمستقبل الخطاب فهمها، ولا يقتصر هذا الأمر على نوع خطابيّ دون غيره؛ لكون هذا الجانب العرفانيّ قد غزا وبصورة عفويّة جميع أنواع الخطابات؛ أدبيّة كانت أم علميّة، ولعلّ من أبرز الخطابات التي تجسّد هذه الظاهرة نجد الخطاب الإشهاريّ.

وعلى هذا الأساس يمكن الوقوف عند إشكاليّة، نصوغها في التّساؤلات الآتية:

*أين يتجلّى الجانب العرفانيّ في الخطاب الإشهاريّ؟ وما هي الأسس والآليّات التي تسمح بتحليل المضامين العرفانيّة المصاغة في هذا الأخير؟

*ما محلّ الجانب العرفانيّ ومكمنه وما هي تجليّاته في الخطاب الإشهاريّ ذي الأبعاد السّياسيّة؟

– للتّوصّل إلى حلّ لهذه الإشكاليّة المركّبة، ارتأينا تسليط الضّوء على جوانب عدّة في هذه الورقة البحثيّة، وتناوُل بعض القضايا العرفانيّة من قبيل؛ تجليّات الاستعارة التّصوّريّة في الخطاب، آليّات التّحليل العرفانيّ للخطاب؛ وذلك بغية الوقوف على كنه التّفكير العرفانيّ الاستعاريّ وكيفيّة عمل الدّماغ في إنتاج وفهم الخطاب، والتّفاعل الحاصل بين التّجربة والتّصوّر وآليّات المزج بينهما،

كما أنّنا سنرفق العمل بأنموذج تطبيقيّ نعمل من خلاله على تحليل خطاب إشهاريّ له أبعاد سياسيّة تحليلاً عرفانيّا، وقد وجدنا في "وصلة زين" الإشهاريّة السّبيل لهذه الدّراسة؛ نظرًا إلى الشّحنات الدّلاليّة والعرفانيّة التي يحويها هذا النّوع من الخطاب؛ وذلك لإحداث التّواؤم بين ما هو نظريّ وما هو تطبيقيّ.

والوقوف على الكشف عن آليّات بلورة الاستعارة التّصوّريّة في الخطاب الإشهاريّ السّياسيّ، ومدى بلاغتها وحقيقة الرّسالة التي يحملها وأبعادها.

أوّلا: تجلّيات الاستعارة التّصوريّة في الخطاب:

1–الخطاب : ماهيّته وأنواعه وأغراضه.

لقد شهد الخطاب على اختلاف أنواعه اهتماما واسعًا، أفضى إلى ميلاد تعريفات عدّة له؛ فهو النصّ في حالة النّطق به من وجهة نظر بعض اللّسانيّين النّصّانيّين، كما أنّ النصّ إنّما هو خطاب تمّ تثبيته بواسطة الكتابة .

وكذلك "حدّ الخطاب أنّه كلّ منطوق به موجّه إلى الغير بغرض إفهامه مقصودًا مع تحقيق أهداف معيّنة ..." ويستوي في ذلك الخطاب بشقّيه : المكتوب والشّفهيّ. كما يستوي المرسل إليه الحاضر أوالمستحضر فلا يقتصر توجيهه إلى المرسل إليه الحاضر عيانًا، بل يتجاوز توجيهه إلى المرسل إليه الحاضر في الذّهن".[1]

والخطاب إنّما له أغراض يسعى إلى تحقيقيها؛ لكونه يحمل بين طيّاته مادّة معرفيّة ومادّة إبداعيّة، كما أنّ له وظيفة تعامليّة وتفاعليّة يسعى من خلالها إلى تحقيق أهدافه، إلاّ أنّ مقاصده قد تظهر مباشرة، وقد تحتاج عمليّات تأويليّة حتّى تتجلّى، ويتحدّد ذلك تبعًا للاستراتيجيّات الخطابيّة التي يتوخّاها المرسل.[2]

أمّا عن الخطاب الإشهاري؛ فهو نوع من أنواع الخطابات يتّصل بالحياة بشكل مباشر كما يحمل بين طيّاته قيما اجتماعيّة وحضاريّة وثقافيّة وأخلاقيّة وإيديولوجيّة – وإن كان يبدو

أكثر ارتباطا بالقيمة التّجاريّة التّسويقيّة – وهذه القيم كلّها تكون موجّهة نحو المتلقي كمستهدف أوّل.

وعليه، فإنّ هذا النّوع من الخطابات يمثل "صنفا من الخطابات المتغلغلة في أعماق الحياة الاجتماعيّة المؤثرة بها، مقامه من المقامات التي لها السيادة في سلّم الخطابات المعرفيّة الأخرى".[3] وفي هذا المقام نورد تعريفا للخطاب الإعلامي؛ مفاده كالآتي : "منتوج لغويّ إخباريّ منوع في إطار بنية اجتماعيّة ثقافيّة، structure socio-culturelle محدّدة، وهو شكل من أشكال التّواصل الفعّالة في المجتمع، له قدرة كبيرة على التّأثير في المتلقي وإعادة تشكيل وعيه ورسم رؤاه المستقبليّة وبلورة رأيه، بحسب الوسائل التقنية التي يستعملها والمرتكزات المعرفيّة التي يصدر عنها".[4]

فالخطاب الإشهاريّ على هذا الأساس عامل من عوامل التّواصل الهادف الذي ينشد تحقيق غايات وفق استراتيجيّة محكمة تتفاعل فيها الوسائط المختلفة في ظلّ العولمة وما شهدته السّاحة العلمية من ابتكارات، أكسبته حلّة التنوّع، فهو مفهوم عام يحيل على أنواع مختلفة باختلاف الوسائل الإعلاميّة المعتمدة ملصق، جريدة، سينما، راديو، تلفزيون...".[5] وتكمن استراتيجيّة عمل هذا النّوع من الخطابات في أنّه لا يشهر به من قبيل الصّدفة، لكونه ثقافة مقنّنة، تراعي المرسل إليه أكثر مما تراعي المرسل نفسه، إضافة إلى كونه يحتمل أن يكون عاما أو خاصّا. وهنا تظهر ثقافة الآخر من دين وعادات وتقاليد[6]، وهذا ما قصدناه بقولنا إنّه ينتهج استراتيجيّات محكمة...ويمكن توضيح علاقات عناصر الخطاب الإشهاري من خلال المخطّط الآتي[7] :

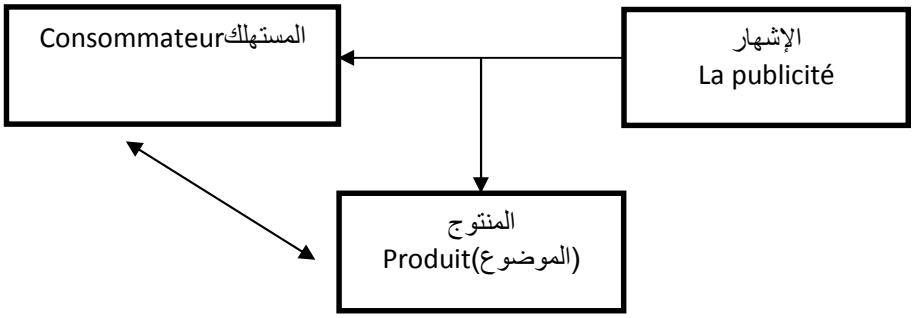

2–مكوّنات الخطاب الإشهاريّ:

يقوم الخطاب الإشهاريّ على مكونين أساسيّين هما : المكوّن اللّسانيّ والمكوّن الأيقونيّ، فالمكوّن اللّساني إنّما يقصد به اللّغة وهي الحاملة للرّسالة الخطابيّة والمانحة لهوية المنتوج وهي التي تسمح بتداوله وتذكُّره واستهلاكه.

أمّا عن المكوّن الأيقونيّ، فهو مجمل العناصر البصريّة المسهمة في تكوين الخطاب الإشهاريّ كالصورة (وهي مرتبطة بالمنتج الذي لا يمكن فصله عن الخطاب الحامل له، والخطاب هنا هو الآليّات التي تشتغل من خلالها الصورة وليس شيئا آخر[8]، كما يقول الباحث سعيد بنكراد. إضافة إلى الشّكل واللّون، وتشتغل هذه العناصر وفق سنن خاصّة بها تختلف عن السّنن اللّفظيّة.[9]

مميزات المكوّن اللّساني في الإشهار:

يمكننا تلخيص هذه المميّزات في النّقاط الآتية:

- اعتماد الكلمات المحفّزة التي تعطي ردود أفعال سريعة واستعمال الكلمات الجذّابة المألوفة المؤثرة في نفوس المتلقّين.
- اختيار الجمل وفق مقتضى الحال والتّنويع في الأساليب كالاستفهام والنّداء للفت الانتباه.
- توظيف البيان والبديع والظّواهر الصّوتيّة : التّشبيه، الاستعارة، الكناية، السّجع، الطّباق، الأضداد، المرادفات، التّكرار، التّنغيم...الإيقاع...وغيرها.[10]

3– المقامات الخطابيّة للخطاب الإشهاريّ:

تعدّ اللّغة قاسما مشتركا بين جميع النّاس، يتواصلون بها ويتّصلون معها، فهي التي تستوعب تجاربهم – على اختلاف أنواعها –كما أنّها وعاء الحضارة والثّقافة، فهي من تحفظ حضارة الأمم "ولو في لحظة السّواد العام تاريخيًّا وسياسيًّا وثقافيًّا. إنّها تسجّل الحدث بتداعياته، وتسعى إلى تجاوز معوّقاته في الزمن والمكان...".[11]

وعليه، فإنّه من الطبيعيّ أن تتعاقب الأحداث المختلفة على أيّ أمّة كانت، فتتباين وتضع بصمتها في واقع الشعوب، إلّا أنّها تحفظ في سجل التاريخ، في شكل قوالب قد تتحشّد في

خطابات من قبل الخطاب الإشهاريّ أو الإعلاميّ، وإنّما يتم ذلك بمراعاة المقامات المتفاوتة، على حدّ تعبير أحد اللّغويّين "لا يخفى عليك أنّ مقامات الكلام متفاوتة، فمقام الشّكر يباين مقام الشّكاية، ومقام التّهنئة يباين مقام التّعزية، ومقام المدح يباين مقام الذمّ، ومقام التّرغيب يباين مقام التّرهيب، ومقام الجدّ في جميع ذلك يباين مقام الهزل.... وارتفاع شأن الكلام في باب الحسن والقبول وانحطاطه في ذلك بحسب مصادفة الكلام لما يليق به، وهو الذي نسميه بمقتضى الحال".[12]

فالخطاب الإشهاريّ على هذا الأساس يراعي فيه القائمون على تصميمه جملة من المقومات من بينها "مقتضى الحال"؛ حتى يكون هذا الأخير وليد اللّحظة، وله فاعلية ووقع في نفوس المتلقّين، فكلّما كان الخطاب معاصرا للظروف الراهنة نال حضوة في أوساط الشعوب على اختلاف الطّبقات الاجتماعية والفئات العمريّة، وكانت له قدرة استقطابيّة وقوّة إقناعيّة.

ثانيا: اللّسانيّات العرفانيّة والاستعارة التّصوّريّة في الخطاب .

تعدّ اللّغة نظاما مستقلاّ حسب النّظريّة التشومسكيّة ؛ لأنّ تشومسكي يرى القدرة اللّغويّة الموجودة في ذهن المتكلّم تمثّل مكوّنا من مكوّنات الدّماغ مستقلاّ عن الإمكانيّات الأخرى غير اللّغويّة التي تتحكّم في الإدراك والتّذكّر والمعرفة ، وله بنيته المميّزة وقوانينه الخاصّة التي تهدف النّظريّة اللّغويّة إلى الكشف عنها.[13]

ولعلّ أبرز العلوم التي شهدتها السّاحة اللّسانيّة المعاصرة لدراسة اللّغة في علاقتها بالدّماغ ومختلف عمليّاته الإدراكيّة نذكر اللّسانيّات العرفانيّة؛ التي تعدّ من العلوم اللّسانيّة الحديثة نسبيًّا، وهي ترتبط ارتباطا وثيقًا بالدّراسة النّفسيّة التي تهتمّ بعمل الدّماغ ومتابعة العمليّات العقليّة المختلفة التي تتّصل بالمعرفة الإنسانيّة والإدراك بشكل عام وأصحاب هذا الاتّجاه في دراسة اللّغة – على اختلاف منطلقاتهم – لا يقبلون القول باستقلاليّة النّظام اللّغويّ ، فهم يرون أنّ لا انفصال بين المعرفة اللّغويّة والتّفكير بشكل عام.

وعليه فهم يعارضون ما يذهب إليه تشومسكي وأتباعه من أنّ تطوّر اللّغة عند الطّفل يأتي كليّا من نموذج نحويّ مستقلّ في الدّماغ يبنى بالكامل بتعليمات خاصّة به.[14]

فالمعرفة اللّغويّة –كما يرى هؤلاء –جزء من الإدراك العقليّ الذي لا يميّز بين المعلومات اللّغويّة والمعلومات غير اللّغويّة ، والذي يتأثّر – وبقوّة – بمحيط الإنسان وتجاربه اليوميّة المختلفة،

فالعمليّات العقليّة التي تتحكّم في التّفكير الإنسانيّ وفي تكوين المعرفة بشكل عام هي نفسها التي تتحكّم في المعرفة اللّغويّة وفي تشكيل البنية اللّغويّة العامّة بمستوياتها المختلفة ، فهناك مستوى واحد تعالج فيه المعلومات اللّغويّة والمعلومات الأخرى الحركيّة والبصريّة والسّمعيّة غير اللّغويّة للوصول إلى مجموعة من المعلومات لا ينبغي التّمييز داخلها بين ما هو لغويّ وما هو غير لغويّ ، وهو المستوى الذي يطلق عليه :مستوى البنية التّصوّريّة.

إنّ اللّغة لا تنفصل عندهم عن الخبرة الإنسانيّة التي تشكّلها التّجربة، والتي تؤثّر في الطّريقة التي ندرك بها الأشياء ونصوغ بها مفاهيمنا المختلفة، والتّعبير عن الأشياء والمفاهيم، وهو بعد لغويّ يتأثّر بلا شكّ بكيفيّة إدراكها.

فاللّغة ليست مستقلّة أو مغلقة على ذاتها ولا يمكن وصف نظامها الدّاخليّ وصوغ قواعده وقوانينه بمعزل عن البنية التّصوّريّة أو المعرفيّة التي تؤسّس لمبادئ عامّة في الخبرة البشريّة تؤثّر مباشرة في بنية المبادئ اللّغويّة المختلفة.[15]

ويخالف أصحاب هذا الاتّجاه النّظريّة التّقليديّة في الدّراسات اللّغويّة الغربيّة المنبثقة من الفلسفة الأرسطيّة التي تهمل الخيال ولا تضع له دورًا أساسيًّا في عمليّات التّفكير والإدراك.
فالعاملون في حقل اللّسانيّات العرفانيّة يرون أنّ الخيال قدرة إنسانيّة مهمّة ذات أثر فاعل وعميق في تشكيل الفهم البشريّ وفي بناء المعرفة الإنسانيّة، فهو يمثّل آليّة من الآليّات الأساسيّة التي يلجأ إليها العقل البشريّ لفهم الأشياء من حوله، ولنقل هذا الفهم إلى الآخر.[16]

وعليه، فقد نهضت اللّسانيّات المعرفيّة – على حدّ تعبير الأزهر الزناد–[على نقض تيّارات سابقة نقضا منهجيّا بالأساس، فكان الخروج عن المنهج الإجرائيّ القائم على الوصف البنيويّ والتّوزيعيّ وعلى المنهج الشّكليّ بما في ذلك الأنحاء المركبيّة والتّحويليّة والمقوليّة الرّياضيّة وعلى المنهج المنطقيّ القائم على شروط الصّدق أو الشروط الضّروريّة والكافية].[17]

1–قضايا اللّسانيّات العرفانيّة:

من القضايا والظّواهر التي نالت اهتمام الباحثين في هذا المجال وكانت بمثابة تحدّ للفكر اللّغويّ التّقليديّ النّظام الاستعاريّ في البنية التّصوّريّة، العلاقات المكانيّة والزّمانيّة في اللّغة وعلاقتها بالإدراك، اكتساب اللّغة، العلاقة بين اللّغة والإدراك الحسيّ .[18]

فالاستعارة مثلاً، التي تعدّ في الدّراسات اللّغويّة التقليديّة خاصيّة لغويّة لا تأثير لها في التّفكير أو السّلوك، حاضرة في كلّ مجالات حياتنا اليوميّة، فهي ليست مقتصرة على اللّغة كما أنّها ليست منبثقة من طبيعة النّظام اللّغويّ، بل هي موجودة في تفكيرنا وفي الأعمال التي نقوم بها أيضا، فالنّسق التّصوّريّ العادي الذي يسيّر تفكيرنا وسلوكنا له طبيعة استعاريّة في النّسق التّصوّريّ لكلّ منّا .[19]

ومن ثمّة، فإنّ الاستعارات إنّما تعكس آليّات عقليّة يستعملها النّاس لتمكّنهم من تصوّر مجالات مجرّدة أو غامضة في المعرفة الإنسانيّة من مثل الزّمن والسّببيّة والاتّجاهات المكانيّة والأفكار والعواطف باستخدامهم تعبيرات من مجالات معرفيّة محدّدة ومألوفة عندهم.ويتم التّحدّث والفهم بشكل تلقائيّ آليّ، وقد وجد الباحثون أنّ الاستعارة من أهمّ الآليّات الذّهنيّة التي تؤسّس للنّسق التّصوّريّ الإنسانيّ.[20]

نتيجة لما تقدّم، فإنّ اللّسانيّات العرفانيّة إنّما هي مدرسة حديثة للتّفكير اللّسانيّ،كان انبثاقها في الأصل مع بداية السّبعينيّات نتيجة عدم رضاها عن المقاربات الصّوريّة للّغة[21]، كما أنّ تسميتها تجري[على تيّار أو حركة تجمع عددًا من النّظريّات التي تشترك في الأسس والمنطلقات، ولكنّها مختلفة متنوّعة متداخلة في بنائها ومشاغلها وتوجّهاتها ومجالات العناية فيها ...وللّسانيّات العرفنيّة صلات بالعلوم العرفنيّة من حيث برنامجها ومفاهيمها العاملة ونقضها لما ليس عرفنيًّا في المطلق وفي اللّسانيّات الشّكليّة بوجه خاص.][22]

2-الاستعارة وتحليل الخطاب السّياسيّ:

أ-الاستعارة: الماهيّة والطّبيعة

لقد تطوّرت وجهة النّظر إلى الاستعارة وأصبح اعتماد مصطلح الاستعارة لدى المنظّرين المعاصرين للإشارة إلى التّرسيم التّصوّريّ، ومصطلح التّعبير الاستعاريّ Metaphorial expression للإشارة إلى تعبير لغويّ مفرد، مثل: طريق مسدود ...[23]

ومن الاستعارات نجد التي تعمل على ترسيم صورة ذهنيّة عرفيّة Conventional mental image على أخرى؛ أي يتمّ ترسيم مجال تصوّريّ (مجال الانطلاق) على مجال آخر (مجال الوصول).[24]

فالاستعارة على هذا الأساس آليّة أساسيّة نفهم من خلالها المفاهيم المجرّدة ونمارس الاستدلال المجرّد، فهي في الأساس تصوّريّة Conceptual وليست لغويّة.و بخصوص الاستعارة اللّغويّة يذهب جورج لايكوف إلى أنّها مجرّد تجلٍّ سطحيٍّ Asurface manifestation للاستعارة التّصوّريّة.[25]

كما أنّها ليست مجرّد آليّة لغويّة تجميليّة ولا أسلوبا تعبيريّا مجازيّا؛ إنّها طريقة جوهريّة وأساسيّة لتعلّم وبنينة الأنساق التّصوّريّة وترميز المعرفة، بل هي جزء من خطابنا اليوميّ.[26]

ب– الاستعارة والنّسق التّصوّريّ والتّجربة: أيّة علاقة ؟

يذهب اللّسانيّون العرفانيّون إلى أنّ جزءا مهمّا من تجاربنا وسلوكاتنا وانفعالاتنا إنّما هو استعاريّ من حيث طبيعتُه، كما أنّ نسقنا التّصوّريّ مبنيّ جزئيّا بواسطة الاستعارة التي تعدّ حقائق متجذّرة في النّسق التّصوّريّ البشريّ، لكون الاستعارات على اختلاف أنواعها؛ اتجاهيّة وبنيويّة وأنطولوجيّة، هي حقائق مثبتة في نسقنا التّصوّريّ، حيث يذهب جورج لايكوف إلى أنّ (نسق الاستعارة التّصوّريّة العرفنيّة لا واع في معظمه وآليّ، ومستخدم دون جهد ملحوظ، تماما مثلما هو نسقنا اللّغويّ وبقيّة نسقنا التّصوّريّ).[27]

كما أنّها مؤسّسة في معظمها على خبرتنا وتجاربنا؛ حيث إنّنا نقوم (بنينة معرفتنا بمجال معيّن(المجال الهدف) بأن ننقل تصوّراته ومفاهيمه وعلاقاته من مجال آخر موجود(المجال المصدر)، يكون مألوفا لدينا)[28]، ويتّضح ذلك من خلال جملة من الأمثلة، عرضها صاحبا "الاستعارات التي نحيا بها"؛ حين مثّلا للاستعارة الاتّجاهيّة بجعل النّاس في مقام مستفل وجعل أنفسنا في مقام عالٍ إذا كنّا نراقبهم ونتحكّم فيهم(بعد فضائيّ:فوق–تحت)، وللاستعارة البنيويّة بالزّمن الذي نعامله كما لو كان مالاً، فنضيّعه ونستثمره أو نبذّره، وللاستعارة الأنطولوجيّة بالتّضخّم الذي نبني له وجودًا ماديًّا، فيكون بمثابة عدوٍّ نحاربه ونتضايق منه...فنقول: إنّني في قمّة السّعادة، لقد رفع معنويّاتي، ليس لديّ وقت لأخسره، عليك أن توفّر وقتك، أنجب التّضخّم جيلاً من الانتهازيّين، هاجم التّضخّم أسس اقتصادنا...[29]

فهناك دائما تجربة إنسانيّة قبل تصوّريّة من قبيل تجربة الاتّجاهات الفيزيائيّة التي نسقطها على مجال مجرّد كالسّعادة والشّقاء والزّمان...ليتمّ التّفاعل بين الجسد والمحيط ومن ثمّة تنتج المقُوَلَة

، كما يذهب لايكوف إلى أنّ العقل قائم على التّخيّل (الاستعارة) وحالٌّ في الجسد، وقيام المقولات في صلة بتجربتنا الجسديّة...[30]

ج–استعمال الاستعارة في الخطابات ذات الأبعاد السّياسيّة:

تعدّ الاستعارة ظاهرة مبتكرة في الأعمال الأدبيّة أكثر من غيرها، فهي مؤثّرة وقادرة على نقل أفكار أو خبرات أو مشاعر أو رؤى بعينها، لكون العمل الأدبيّ يحمل بين طيّاته خبرة عقليّة وعاطفيّة معقّدة، فيجسّد الحياة الذّهنيّة للأديب ويصفها استعاريّا بشكل متميّز تكون الاستعارة فيه جزءًا من الأسلوب على اختلاف الأجناس الأدبيّة، وتذهب إيلينا سيمينو في هذا المقام إلى ما توصّل إليه كلّ من: "لايكوف "و "تيرنر" ؛ حيث إنّ الشّعراء والأدباء لا يبتكرون في أعمالهم الأدبيّة أنواعا وأشكالا جديدة من الاستعارات إنّما يقومون باستغلال الاستعارة التّقليديّة المستخدمة في لغة الحياة اليوميّة، ولكن بشكل مبتَكر؛ لكون الاستعارة تنشأ في اللّغة المستخدمة في الحياة اليوميّة، كما أنّها طريقة يعبّر بها أفراد منتمون إلى ثقافة معيّنة عن خبراتهم في إطار مفاهيميّ محدّد.[31]

كما نجد السّياسيّين بدورهم يعتمدون الاستعارة لتحقيق أغراض بلاغيّة وإقناعيّة، وذلك في إطار ابتكار استعاريّ فريد من نوعه يحمل قدرا عظيما من البراغماتيّة ويسمح بإقناع المتلقّي بقبول التّصوّرات المعروضة؛ لكون السّياسة حربًا، فكما للحرب متحاربون وسلاح واستراتيجيّات، ونهاية بمنهزم ومنتصر، فللسّياسة كذلك أقطاب صراع وأسلحة لا يمكن الاستغناء عنها، وهي مرهونة بشكل أكبر باللّغة"الاستعارة" ... وفي هذا المقام لابدّ من التّذكير بأنّنا نحيا بالاستعارة؛ لكونها جزء من نشاطنا الفكريّ العاديّ، وهي التي تبنين تصوّراتنا وتجاربنا وتعطيها معنىً، كما أنّها قد تقتل في حال استعملت كبناء دلاليّ لتبرير الحرب وتسويغ الهجوم على البشر؛ هي كذلك لأنّها تخفي الوجه الحقيقيّ للحرب وتعبث بمصائر الشّعوب.[32]

وحريّ بنا في هذا المقام الوقوف عند الخطاب السّياسيّ المتميّز بمدى قدرته على إحداث التّغيير؛ نظرا إلى مدى قدرته على التّأثير ووضع بصمة في المتلقّي سواء بشكل إيجابيّ أو سلبيّ، تبعا لما يحمله من شحنات دلاليّة وبلاغيّة. أمّا عن ماهيّة الخطاب السّياسيّ، فإنّه يستعصى حصره في مفهوم معيّن؛ إلاّ أن نذهب إلى عرض (تعريف طرازيّ للخطاب السّياسيّ، والتّعريف الطّرازيّ هو التّعريف الذي يمثّل المعبّر الأفضل عن هذه المقولة، مثلا خطاب رئيس الدّولة، أو

الخطاب الذي يجمع الخاصيّات الأكثر تواترا في الخطابات السّياسيّة، ويمكن أن يكون تمثيلا ذهنيّا لا يتحقّق بالضّرورة في خطاب بعينه).[33]

إنّ المسألة على هذا الأساس نسبيّة؛ متعلّقة بكلّ من قارئ الخطاب وزاوية النّظر إليه، وكذا الإطار الثّقافيّ المعرفيّ منه والإيديولوجي، وبعبارة أخرى: الخطاب متعلّق بمنشئه وهو رجل السّياسة، وموضوعه الذي هو في الشّأن السّياسيّ.

وتبقى قضيّة تحديد تعريف للخطاب السّياسيّ تكتنفها صعوبة في الحسم بغضّ النّظر عن الموضوع والسّياق؛ حيث يذهب ماركو أبونت مارينوMarco Aponte Moreno إلى(أنّ كلّ خطاب هو إلى حدّ ما سياسيّ، وأنّ كلّ تحليل خطاب، في مستوى ما، هو سياسيّ).[34] وهذا الخطاب بطبيعة الحال له لغة سياسيّة خاصّة به تقوم على استراتيجيّات معيّنة؛ لكونها أداة من أدوات القوّة الرّمزيّة المعتمدة في تحقيق المصالح، ناهيك عن كونها وسيلة اتّصال، ومن أبرز آليّات هذه اللّغة نجد الاستعارة التي بدأت أساسا مع جورج لايكوف في تسعينيّات القرن العشرين، لتتطوّر لاحقا في إطار ما يُعرف بالنّظريّات العرفانيّة. لسيّما في علم الدّلالة العرفانيّ مع كلّ من لايكوف وجونسون وتيرنر وفوكونيي ... وغيرهم.

لعلّ ما أسّس لدراسة الخطاب السّياسيّ عرفانيّا هو الكتاب المشترك لمارك جونسون وجورج لايكوف الذي جعل الاستعارات آليّات أساسيّة نحيا بها؛ حيث تطرّقا إلى الحديث عن الاستعارات التي وظّفها الرّئيس الأمريكيّ الأسبق "كارتر"في أزمة الطّاقة الذي"أعلن عليها الحرب معنويّا".[35]

فالاستعارات المعتمدة في مثل تلك الخطابات تحمل أبعادا وتخفي تصوّرات كاملة عن رؤية صاحب الخطاب السّياسيّة والأخلاقيّة والاجتماعيّة.

ثالثا:التّحليل العرفانيّ للخطاب الإشهاريّ ذي الأبعاد السّياسيّة–دعاية شركة زين: فرحة العيد والغول– .

إنّ تحليل الأعمال والخطابات الأدبيّة يقتضي أن يتسلّح المتعامل معها بجملة من الاستراتيجيّات المنهجيّة التي تحيله على الأسرار التي تختزنها هذه الأخيرة، كما يستوجب ذلك اعتماد القراءات التّأويليّة التي تتطلّب قوّة الملاحظة والدّقة في التّركيز وبعد النّظر، لسيّما إذا تعلّق الأمر بخطاب إشهاريّ يحمل بين طيّاته أبعادا سياسيّة، يستوعبها في شكل تعبيرات استعاريّة

منبثقة من نسق تصوّريّ امتزجت فيه تصوّرات ذهنيّة وارتبطت ارتباطا رياضيّا بواقع وتجربة قبليّة، وعليه فإنّنا اخترنا وصلة زين الإشهاريّة " فرحة العيد والغول" لتكون موضوعا للدّراسة والتّحليل العرفانيّ؛ هذه الوصلة عبارة عن دعاية من تصميم شركة زين الإعلانيّة تمّ بثّها في رمضان 2010م، في شكل فيديو قصير يبدو في ظاهره بسيطا إلاّ أنّه يحمل بين طيّاته العديد من الشّحنات الدّلاليّة والمقاصد السّياسيّة، سواء من حيث المكوّن الأيقونيّ أو اللّسانيّ...إلاّ أنّ هذه الدّراسة سيتمّ التّركيز فيها على المكوّن اللّسانيّ درسًا وتحليلاً من حيث دلالاته العرفانيّة.

يقول نصّ الوصلة:

"يُحكى أنّ هناك مدينة طلّ عليها هلال العيد وامتلأت طرقاتها زينة لبس الكلّ ثوبَ جديد، إلاّ أنّ هناك سؤال ماذا يشغل ها الأطفال، لمَ أخذوا الأغراض خلسة ؟ كلّ كان يسأل نفسه. قبل وجبة العشاء صعدوا غصن البازلّاء، وجدوا الغول هناك وحيد ودعوه للقاء العيد... وكشفوا عن كرسي جديد، جلس عليه الغول سعيد فالفرحة في يوم العيد لما نعطي منها تزيد".

تؤخذ هذه الوصلة تصوّريًّا على أنّها بنية جسّدت واقع الأمّة والوطن العربيّ بشعوبه وحكّامه وما يميّز طبيعة الحكم فيه وطبيعة العلاقة بين الشّعوب والحكّام؛ حيث جعل البلاد بمثابة المدينة الصّغيرة التي تحوي المباني والطّرقات، والتي تنتظر يومًا جديدًا تستقلّ فيه من القيود المفروضة عليها جرّاء ما تتعرّض له من نهب وسرقة وانتهاك للحريّات وسلب لحقوق مواطنيها من قبل حكّامهم الذين تولّوا المناصب وجلسوا على كرسيّ السّلطة وتشبّثوا به، رافضين تسليم مقاليد الحكم لمن بعدهم من الأجيال القادمة مهما كانت الأحوال.

فما تنتظره هذه الشّعوب وما تتمنّاه هو عيد بالنّسبة لهم، يهلّ عليهم كهلال العيد الذي ينتظر بفارغ الصّبر والذي يعدّ ظهوره مؤشّرًا لانطلاق الأفراح بعد إمساك عن الشّراب والطّعام وتعب ومشقّة وبعد طول انتظار وصبر على أمل الحلول القريب لزمن الإفطار، وهو حال الأمّة التي تنسى بذلك كلّ ما مرّ بها من ظروف قاسية في ظلّ فترة الحكم تلك؛ حيث سلبت فيها حقوقها وانتهكت من رئيس ظالم وأتباعه الطغاة.

ذاك الرّئيس الذي يخافه الشّعب ويحسبون له ألف حساب ويتّقون شرّه؛ لأنّه قد يفتك بهم بطرق غير شرعيّة وفي سريّة تامّة، فكانت الشّعوب بذلك كالأطفال الذين لا حول لهم ولا قوّة، ليس لهم سوى البكاء عند الألم والجوع، والتّحسّر عند الضّرر، فكلّ فرد من أفراد الشّعب هو طفل

يجتمع فيه الضّعف والبراءة والسّذاجة والطّيبة والعجز والحاجة...، يسعى وراء لقمة العيش مثلما الطّفل الذي تسكته قطعة حلوى أو لعبة يلهو بها، ويكتفي بالبكاء إذا ما تعرّض لخطب ما، ويخشى بشدّة " الغول"؛ تلك الشّخصيّة الأسطوريّة التي أرعبت الأطفال وكانت قصصها منوّما فعّالاً لهم عندما يحاولون العناد، لكون صورة" الغول"ذاك الكائن الخرافيّ الذي يرد ذكره في القصص الشّعبيّة والحكايات الفلكلوريّة، في العرف مرعبة؛ فهو ذاك العملاق المخيف الذي يتّصف بالبشاعة والوحشيّة والضّخامة ويعرف بالتّحايل والخداع؛ فهو يلجأ للتّماهي وتغيير شكله ومظهره ليخفي حقيقته ويتمكّن من الإيقاع بفريسته ومعروف أنّه يظهر في الظّلام ويوقع بالأشخاص ثمّ يخطفهم ويأكلهم...فقد كان ذاك التّصوّر المتجذّر في أعماق الذّاكرة وكانت عبارة "جاءك الغول" كفيلة بأن تكمّ أفواه الأطفال مبتلعين غصّتهم يرجون الكرى أن يأتيهم سريعا لتخليصهم من خوفهم وفزعهم الذي حلّ محلّ حاجتهم لأمر ما...كحضن دافئ ويد تربت على أكتافهم كرسالة حبّ وأمان، فحال الغول هنا حال الرّئيس الذي يعتلي العرش في برجه العاجيّ وحيدًا بعيدًا عن العامّة، هو صاحب القرار وسياساته كفيلة بسدّ أفواه من يطالبون بحقوقهم.

وقد جاء صعود غصن البازلاّء دلالة واضحة على الفرق والمدى الشّاسع والبعد اللاّمتناهي بين الطبقة الحاكمة المتمثلة في شخص الرّئيس والمعبّر عنها ب"الغول"، وطبقة العامّة المتمثّلة في الشّعب والمصوّرة في شخص "الأطفال"، كما أنّ الصّعود كذلك فيه تصوير لصعوبة التّواصل مع الحاكم، أمّا عن غصن البازلاّء فهو دلالة على الارتفاع المتواصل والالتواء؛ حيث إنّ الحاكم يستغلّ منصبه ويستمر في الارتفاع بطرق عديدة ليصل إلى مستوى عال في برجه العاجيّ بعيدًا عن البساطة والشّفافيّة والتّواضع، فيكون وحيدًا لا يشارك شعبه أوضاعهم وأحوالهم، إلاّ أنّهم يدعونه ليكون مهتمًّا لأمرهم، راعيًا لشؤونهم، بعيدًا عن كونه مجرّد شخص بليد متعالٍ ومستغلّ للمناصب يتربّع على كرسيّ الحكم، بل ويريدونه منتميا لهم وواحدًا منهم يشعر بهم ويسعى جاهدًا لتحقيق احتياجاتهم وإحلال العدالة بينهم، وهم بذلك يضعون له كرسيًّا جديدًا؛ لينضمّ إليهم بكلّ تواضع ويقوم بالواجبات الموكول إليه القيام بها، فيحقّ له أن ينال الاحترام ويكون محبوبا بنزاهته وعدله، فينام قرير العين هانيها؛ فتعمّ بذلك أجواء الأمن والسّلام وتزدهر الأمّة وترقى برقيّ شعوبها وحكّامها المتّحدين لتحقيق كرامة الأمّة.

وعليه فإنّ هذه الوصلة الإشهاريّة حملت بين طيّاتها أبعادا سياسيّة جسّدتها في شكل اتّحاد متكامل بين مكوّن أيقونيّ ومكوّن لسانيّ، فوصلت الرّسالة المقصودة بطريقة تصوّريّة غير مباشرة.

الخاتمة:

نخلص في نهاية هذه الورقة البحثيّة إلى جملة من النّتائج نوردها في النّقاط الآتية:

1-الاستعارة مسألة فكريّة مرتبطة بنسقنا التّصوّريّ، كما أنّها متجذّرة في حياتنا حتّى أنّنا لا نكاد ندركها.

2-الاستعارة مركز إدراك المعنى وفهم الإنسان لنفسه وتمثّله الوجود من حوله، وبناء أنساقه الرمزيّة المختلفة، كما أنّها مركز التّفكير وآداته وآلته في الوقت ذاته.

3-محلّل الخطاب ليس في غنى عن الاستعارة كآلية تمكّنه من فهم الخطابات وتفكيك شفراتها، والكشف عن دلالاتها ومعانيها.

4-كلّ خطاب هو إلى حدّ ما سياسيّ، وكلّ تحليل خطاب ، في مستوى ما، هو سياسيّ.

5-استعمال الاستعارة غرضه تحقيق وظائف بلاغيّة وإقناعيّة.

6-الخطاب الأدبيّ قد تكون له أبعاد سياسيّة ، تسهم الاستعارة في تحقيقها.

7-الخطاب الإشهاريّ خطاب قائم على مكوّن أيقونيّ ومكوّن لسانيّ، له عدّة أغراض تتحقّق في شكل رسائل مشفّرة يتم تمريرها إلى المتلقّي.

8-للخطاب الإشهاريّ فاعليّة وأبعاد سياسيّة تتدخّل الاستعارة التّصوّريّة في تحقيقها.

هوامش

[1] عبد الهادي بن ظافر الشّهري، استراتيجيّات الخطاب مقاربة لغويّة تداوليّة، دار الجديد المتّحدة(بيروت لبنان)ط1، 2014،ص39.

[2] ينظر المرجع نفسه، ص18-19.

[3] بشير إبرير، الصّورة في الخطاب الإعلامي دراسة سيميائيّة في تفاعل الأنساق اللّسانيّة والأيقونة، أعمال الملتقى الدّولي الخامس "السّيمياء والنصّ الأدبيّ"، ص2.

[4] المرجع نفسه، ص4.

[5] يمكن العودة إلى:عبد العالي بوطيب، آليّات الخطاب الإشهاريّ، الصّورة الثانية، مجلة علامات18، منشورات كليّة الآداب والعلوم الإنسانيّة، مكناس، ص117.

[6] ينظر، عبد الجليل مرتاض، المقاربة السّيميائيّة لتحليل الخطاب الإشهاريّ، مجلّة الأثر للآداب واللّغات، جامعة قاصدي مرباح، ورقلة، الجزائر، العدد7، ماي2008، ص1.

[7] ينظر: حافظ اسماعيلي علوي، الحجاج(مفهومه ومجالاته، دراسة نظريّة وتطبيقيّة في البلاغة الجديدية) الجزء الرابع(الحجاج والمراس)، عالم الكتب(2) الحديث، اربد- الأردن، ط1، 2010، ص286.

[8] سعيد بنكراد، الصورة المكونات والتّأويل، نقلا عن :

Guy Gauthier : Vingt leçons sur l'image et le sens.Ed.Ediling collection : Médiathèque, paris 1982.

وينظر أيضا : سعيد بنكراد : الصورة الإشهارية : آليّات الإقناع والدّلالة، المركز الثّقافي العربيّ، 2009

[9] ينظر عبد العالي بوطيب، المرجع السابق، ص 122.

[10] ينظر مثلا: شروق خليل، دور البنية اللّغويّة في الخطاب الإشهاريّ إشهارات تلفزيونيّة سياحيّة-أنموذجا- رسالة ماستر تخصّص اللّسانيّات والسّياحة، جامعة محمد خيضر ببسكرة 2014-2015، ص26.

[11] يونس الفقيه، اللغة والمكون المعرفي (المصطلح)، المركز التربوي للبحوث والإنماء، الهيئة الاكاديمية المشتركة، قسم اللغة العربية وآدابها، ص 15.

[12] شكري محمد عياد، اللغة والإبداع مبادئ في علم الأسلوب العربي، ط 1، 1988، ص 08.

[13] ينظر لطيفة إبراهيم النجّار، آليّات التّصنيف اللّغويّ بين علم اللّغة المعرفيّ والنّحو العربيّ، مجلّة الملك سعود الآداب،2004،ص1-3.

[14] المرجع نفسه،ص4.

[15] المرجع نفسه،ص4-5.

[16] المرجع نفسه،ص9.

[17] الأزهر الزناد،نظريات لسانيّة عرفنيّة،دار محمد علي للنشر،ص15.

[18] لطيفة إبراهيم النجار،المرجع السّابق،ص8.

[19] لايكوف وجونسن، الاستعارات التي نحيا بها،ترجمة:عبد الحميد جحفة،دار توبقال للنّشر،ص21

[20] المرجع السّابق،ص7

[21] عمر بن دحمان، الاستعارات والخطاب الأدبي-مقاربة معرفيّة معاصرة- دكتوراه،جامعة مولود معمري،2012،ص23

[22] الأزهر الزناد، المرجع السّابق، ص27.

[23] ينظر جورج لايكوف،النّظريّة المعاصرة للاستعارة،ترجمة:طارق النّعمان، إبداع للنّشر،العدد 13-14شتاء- ربيع،2010،ص17.

[24] ينظر المرجع نفسه،ص66

[25] ينظر المرجع نفسه،ص96.

[26] جورج لايكوف، حرب الخليج أو الاستعارات التي تقتل،ترجمة عبد الحميد جحفة وعبد الإله سليم، دار توبقال للنّشر، ط1، 2005،ص7.

[27] جورج لايكوف، النّظريّة المعاصرة للاستعارة، المرجع السّابق ،ص97.

[28] جورج لايكوف، حرب الخليج، ص6

[29] ينظر جرج لايكوف ومارك جونسون، الاستعارات التي نحيا بها، ص12-34-53.

[30] ينظر الأزهر الزناد، نظريّات لسانيّة عرفنيّة، ص139.

[31] ينظر إيلينا سيمينو، الاستعارة في الخطاب،ترجمة: عماد عبد اللّطيف وخالد توفيق،المركز القومي للترجمة،ط2013،1،ص104.

[32] ينظر جورج لايكوف، حرب الخليج،ص5

[33] محمد الصّالح البوعمراني،الاستعارات التّصوّريّة وتحليل الخطاب السّياسيّ، دار كنوز المعرفة للنّشر والتّوزيع،2015،ص41.

[34] المرجع نفسه،ص45.

[35] ينظر المرجع نفسه،ص52-53-54.